عن الرجل الكثير والشخصية الاستثنائية

د. عرفات الرميمة

المقدمة:

مفكرٌ من الطراز الرفيع، وقائدٌ بكل ما تحمله الكلمة من معنى، جعل من الفكر قيادة للواقع لتحقيق الأفكار، وجعل من القيادة فكراً يقود به الواقع إلى ما ينبغي أن يكون، هو باختصار الرجل الكثير الذي لا تنتهي صفاته الحسنة، إنه المفكر والقائد السيد حسين بدر الدين الحوثي، من شطر الفكر والواقع في اليمن إلى ما قبله وما بعده، أنه باختصار من الشخصيات القلائل الذين عاشوا بعد موتهم.

لم يظهر السيد حسين على الساحة اليمنية والعربية ويتصدر عناوين الصحف ونشرات الأخبار . إلا بعد الحرب الأولى . ٦/١٧/ ٢٠٠٤م . فهو لم يكن معروفاً ومشهوراً حتى ذلك الحين إلا في مدينة صعدة فقط، فقد بدأت أخبار ترديده للشعار تتداول في صعدة ـ عندما صرخ به للمرة الأولى يوم ١٧يناير ٢٠٠٢م: "الله أكبر، الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود، النصر للإسلام" وقد تردد صداه في العاصمة صنعاء، وبدأ مع تلك الكلمات البسيطة كتابة تاريخ جديد في اليمن . وفي المنطقة العربية . حينها بدأ الناس بالتساؤل: من هذا الشخص الذي يُنادي بالموت لأمريكا، عندما بلع الناس ألسنتهم وفي الوقت الذي لم يجرؤ رؤساء دول عظمى على معارضة سياستها؟

كانت أمريكا وقتها هي القوة التي لا تُقهر، كما صورتها وسائل الإعلام التابعة لها إذ أظهرتها بتلك الصورة التي رسَخت في نفوس الكثير من الشعوب وفي عقول قادتها، أنها القوة التي لا يقدر أحد على هزيمتها، فمن ذا الذي يستطيع الوقوف ضدها؟ ومن يجرؤ على معارضة سياساتها؟ والأهم من كل ذلك: من الذي تجرأ ونادى بأعلى صوته بالموت لها؟

لقد جاء السيد حسين الحوثي ورمى بحجر الصرخة في مياه الواقع العربي والإسلامي

الآسن، فاستطاعت أن تكسر تلك الصورة النمطية وتهشّم ذلك النموذج الزائف وأحدثت شرخاً في العقل الجمعي الذي اعتاد أن يري أمريكا تسيطر على العالم، فما الذي جعل السيد حسين الحوثي يطلق ذلك الشعار الذي يشبه أسلحة الدمار الشامل . بالنسبة لأمريكا . في ذلك الوقت بالذات؟

من أجل ذلك شنت أمريكا وأدواتها في الداخل والخارج حرباً إعلامية ونفسية وعسكرية على السيد حسين وأنصاره، ولم يتعرض شخص في اليمن المعاصر بسبب أفكاره وآرائه ومواقفه . على حد علم الباحث . للحرب والعدوان بالإضافة لحملات التشويه والافتراء والكذب المتعمد بالاتهام بالضلال والكفر والفسوق والابتداع والعصيان والمحاربة لشخصه ولفكره كما تعرض له السيد حسين ولم تتعرض جماعة للعدوان العسكري ـ تحالف دولي . وللتشويه المتعمد لعقائدها ولأفكارها ومبادئها، كما تعرضت له جماعة أنصار الله، كل تلك الحملات العسكرية والإعلامية تعرضت لشخص السيد حسين ولم تتعرض لأفكاره بغرض الدراسة التي تتوخى الفهم والنقد البناء . فمعظم ما كتب عنه أو عن حركته كانت إما كتابات مطبوخة في المطابخ الإعلامية للنظام السابق، أو كتابات مؤدلجة ممولة من الجماعات والدول التي شنت عليه وعلى حركته الحروب الستة في صعدة ما بين . ٢٠٠٤ . ٢٠١٠م وبعد دخول أنصار الله العاصمة . صنعاء عقب ثورة٢١سبتمبر ٢٠١٤م . كونت السعودية تحالفاً دولياً . برعاية وتنسيق ودعم أمريكي بريطاني . شنّ عدواناً عسكرياً على اليمن أرضاً وإنساناً وحضارة فجر الخميس ٢٦مارس ٢٠١٥م . ولا يزال مستمراً حتى الآن . وكانت التهمة الجاهزة الأكثر رواجاً . لتبرر الحروب التي شنت عليه وعلى أنصاره . هي أن الحركة الحوثية هي حركة تابعة لإيران وتروج للمذهب الإثنى عشري "الرافضي"، لقد مثلت تلك التهمة . كعب أخيل . بالنسبة لأعدائه، فحدّت من إمكانية انطلاقها. فالحوثية كما يدعي البعض هي: "حركة سياسية تعد تطوراً لتيار الإمامة الشيعية الجارودية في اليمن مستغلة التوغل الاثني عشري الإيراني في المنطقة، لم تكن الحوثية الاثنا عشرية معروفة في اليمن إلا عقب اندلاع مواجهات عسكرية بينها وبين السلطات اليمنية

في ١٨ يونيو ٢٠٠٤ م " وأحداث ما عُرف " بأزمة الحوثي لم يكن إلا بمثابة إشهار أن ثمة وجوداً شيعياً اثنى عشرياً مسلحاً في اليمن" [١].

وكم تتلاشى هذه التهمة وتتهافت عندما يستمع الباحث لمحاضرات السيد حسين . أو يقرأها بعد تفريغها من الأشرطة إلى ملازم . يدرك الباحث أن مشروع الشهيد القائد كان مشروعاً فكرياً ناقداً للمذاهب عابراً للطوائف بعيداً من التقوقع الطقوسي للمذاهب . والأسوار المسيجة للطوائف . قريباً من كل ما يوحد الأمة ويلم شتاتها ويجمع كلمتها في مواجهة عدوها التاريخي.

لقد وجه السيد حسين سهام نقده للزيدية والإثنى عشرية ولعلم الكلام وأصول الفقه ولعلم الحديث والسيرة باعتبارها صارفة للأمة عن القرآن .كما يرى . وتقدم نفسها بديلاً عنه.

تلك التهمة تنم عن جهل بالمشروع الفكري للسيد حسين، رددتها منابر الخصوم ووسائل إعلامها المختلفة وقد تكون مبررة بجهل أصحابها بحقيقة الفكر وغلبة الجانب النفسي والسياسي والأيديولوجي على الجوانب المعرفية والموضوعية، والدليل على الجهل بحقيقة الحركة وزعيمها هو قول الأحمدي "و نعتناها بـ (الحوثية) لارتباط ظهورها بالعلامة بدر الدين الحوثي ونجله حسين"[٢].

فالحركة الحوثية لا علاقة لها بالعلامة بدر الدين الحوثي وإنما تنسب لنجله السيد حسين الحوثي فقط، إذ شكلت خطاباته من عام ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٤م "المنظومة الفكرية والمعرفية التي تحدد هوية الجماعة وأهدافها كما تضمنتها محاضرات السيد حسين بدر الدين الحوثي على مريديه، وتعد المرشد النظري والحركي لأنصار الله، إضافة إلى ما يتخذه خلفه

١ – عادل الأحمدي . الزهر والحجر . مركز نشوان الحميري للدراسات، صنعاء . ط١/٢٠٠٦م. ص١١ . ١٢

٢ – المرجع السابق ص١٢.

في القيادة السيد عبدالملك الحوثي من تعليمات وتوجيهات وخطابات"[1] .

لا تتوخى هذه الدراسة الغوص في حياة السيد حسين الشخصية، فليس ذلك من مهامها، لأنها تركز أساساً على جملة الأفكار والمواقف التي منحت الشخص التمّيز وجعلته علامة فارقة ليس في محافظة صعدة لوحدها بل في اليمن وفي الوطن العربي.

لماذا السيد حسين بالذات؟ ولماذا ندرسه الآن؟

يبدو السؤال مشروعاً: لماذا ندرس فكر الشهيد القائد دون غيره؟ ولماذا ندرسه في هذا الوقت بالذات؟

هذا هو السؤال المحوري الذي تحاول الدراسة الإجابة عنه، من خلال عناوينها المختلفة.

من المعلوم أن السيد حسين الحوثي لم يظهر على الساحة اليمنية والعربية . ويتصدر عناوين الصحف ونشرات الأخبار . إلا بعد الحرب الأولى . ٦/١٧/ ٢٠٠٤م . فهو لم يكن معروفاً ومشهوراً حتى ذلك الحين إلا في مدينة صعدة فقط، فقد بدأت أخبار ترديد الحوثي للشعار تتداول في صعدة . الذي صرخ به للمرة الأولى يوم ١٧يناير ٢٠٠٢م "الله أكبر، الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود، النصر للإسلام" ثّم يتردد صداه في العاصمة صنعاء، وبدأ مع تلك الكلمات البسيطة كتابة تاريخ جديد في اليمن . وفي المنطقة العربية . حينها بدأ الناس بالتساؤل: من هذا الشخص الذي يُنادي بالموت لأمريكا، في الوقت الذي لم يجرؤ رؤساء دول عظمى على معارضة سياستها ! كانت أمريكا وقتها هي القوة التي لا تُقهر، كما أسلفنا.

جاء حينها السيد حسين الحوثي ورمى بالصرخة التي كسرت تلك الصورة وهشّمت ذلك النموذج وأحدثت شرخاً في العقل الجمعي الذي اعتاد أن يري أمريكا تسيطر على العالم.

١ – عبدالملك العجري . جماعة أنصار الله الخطاب والحركة . مجلة مقاربات سياسية، مركز الدراسات الاستراتيجية، صنعاء . عدد ٢. مارس ٢٠١٧. ص ١١٠

فما الذي جعله يطلق ذلك الشعار الذي يشبه أسلحة الدمار الشامل . بالنسبة لأمريكا . في ذلك الوقت بالذات؟

اختيار التوقيت لم يكن عشوائياً بالنسبة له؛ بل كان واعياً بأنه الوقت المناسب بحسب ثقافته القرآنية، فـ "القرآن الكريم يعلمنا أنه من يضيع العمل في وقته، أنه من لا يَعِيَ في الوقت الذي ينفع فيه الوعي، أنه من لا يفهم في الوقت الذي يُجْدِي فيه الفهم سيصل به الحال إلى أن يرى نفسه يَعِي، ويُؤمن، ويفهم في الوقت الذي لا ينفع فيه شيءٌ، لا إيمانه، ولا وعيه، ولا فهمه"[1]

فحين لزم الجميع الصمت وشرعت أمريكا تعد العدة لغزو الأقطار العربية والإسلامية، بدأت التنفيذ بغزو أفغانستان . أواخر أكتوبر ٢٠٠١م . وبدأت تتحرش بالعراق بحجة امتلاكه أسلحة دمار شامل، وكانت اليمن هدفاً مشروعاً للتدخل الأمريكي خصوصاً بعد أن وضعتها إدارة بوش تحت الميكروسكوب وأرسلت بين الحين والآخر إشارات من خلال وسائل الإعلام والقنوات الديبلوماسية بأن اليمن قد تصير هي الهدف التالي في حرب أمريكا ضد الإرهاب[2].

والحجة الجاهزة هي محاربة الإرهاب . خصوصاً بعد تعرض المدمرة الأمريكية "كول" للتفجير في عدن شهر أكتوبر عام ٢٠٠٠م .كانت أمريكا تشعر أن الجميع طوع أمرها ويتمنى رضاها، فكان لا بد من أن يظهر أحدهم على حين غفلة منها ويحدث ما حدث.

لقد رأى السيد أمريكا بعين القرآن . لا بعين وسائل الإعلام . فرآها على حقيقتها، بعدما تزود بالمعرفة القرآنية التي فضحت ذلك النموذج المسخ . الذي يرى بعين المادة والمصلحة العوراء وبعين الرأسمالية والشركات العابرة للقارات، والأخطر مما سبق أنه –أي النموذج المسخ– يري بعين اللوبي الصهيوني ويتشدق بعد كل ذلك بحقوق الإنسان، ليسلب الآخرين المعارضين لسياساته حقهم في الحياة، لقد أراد السيد حسين من خلال

١ – حسين الحوثي: خطر دخول أمريكا اليمن . صعدة . ٢٠٠٢/٢/٣م. ص١٤.

٢ – ينظر : بكيل أحمد الزنداني : عقيدة بوش والشرط الاوسط الكبير . دار أروقة للنشر، الأردن. ط١/٢٠١٢م . ص٢٢١.

صرخته التي طالب فيها بالموت لأمريكا، الموت لأمريكا الفكرة والنموذج والمثال والتي ترسخت في نفوس بعض العرب والمسلمين وسيطرت على عقولهم بأنها القوة التي لا تُقهر والنموذج الذي يجب أن يُحتذى، وقد وصلت الصرخة الشعار لأذن القيادة الأمريكية في البيت الأبيض، قبل أن تصل إلى آذان وكلائها في اليمن.

كان ذلك الموقف هو ما أثار التساؤل الذي لا يزال طازجاً في تفكيري: ما الذي أحدثه شخص في منطقة نائية في اليمن كي يجعل من تلك المنطقة . بالنسبة لليمن . ومن اليمن . بالنسبة للعالم . بؤرة اهتمام وتوجس وصراع؟ ففي الوقت الذي استباحت فيه أمريكا . بعد أحداث ١١سبتمبر ٢٠٠١م . أقطار العالم العربي والإسلامي بحجة مكافحة الإرهاب . الذي لم تعطِ له تعريفاً حتى اليوم . وقال رئيسها بوش الابن إن الدول التي لا تقف معنا في محاربة الإرهاب فهي ضدنا، يأتي شخص غير معروف . حتى ذلك الوقت . وينادي بالموت لأمريكا وإسرائيل، وتلك شجاعة نادرة في ذلك الوقت بالذات والذي جعلت فيه أمريكا من نفسها فرعون يُرِي العالم عين ما يراه ويهديهم سبيل الرشاد الذي يظنه كذلك، فمن يجرؤ أن يقول لأمريكا لا؟ أما من ينادي بموت أمريكا فهو بلا ريب شخص شجاع يمتلك من القوة والشجاعة والإقدام ما يجعله يواجه العالم.

بعد أن رفع السيد حسين صرخته مدوية، عمل طلابه على طبع الشعار على جدران المنازل وعلى صخور الجبال وطبعوه على الأوراق وأكياس الدعايات وجداول الحصص المدرسية وتم توزيعها على طلاب المدارس، وبالتزامن مع انتشار الشعار الذي يدعو بالموت لأمريكا وإسرائيل دعا السيد حسين أتباعه للقيام بنشاط ميداني مرافق لرفع الشعار وتوزيعه وهو الدعوة لمقاطعة البضائع الأمريكية والإسرائيلية في الأسواق اليمنية وجعل من تلك الدعوة شعاراً يوازي شعار الصرخة ويكمله ويكتب خلفه، معتبراً المقاطعة بحد ذاتها نوعاً من الموت البطيء لصورة أمريكا وإسرائيل في نفوس الناس وهي تمثل ردة فعلٍ لغزو العدو لنا وفي عقر داره أيضاً .

وكما يقال: "ما من موقف يمر دونما ثمن"، وعظمة المواقف لا تقاس بكثرة أتباعها وإنما

بمقدار التضحيات التي تُدفع من أجلها والدماء التي تسيل في سبيلها، وهذا ما حصل مع السيد حسين وأتباعه، بدأت الدولة مسلسل التعسف ضدهم بفصل العديد من الطلاب من مدارسهم بسبب ترديدهم الشعار وعملت وزارة التربية على توقيف مرتبات المئات من المدرسين بنفس التهمة وبعدها بدأ مسلسل الاعتقالات لكل من يردد الشعار في المساجد عقب صلاة الجمعة فغصت بهم سجون الأمن السياسي فيما بعد . في صعدة وصنعاء وحجه وعمران . وبدأت الحرب الإعلامية التي مهدت الطريق للحروب الست التي شُنت ضد السيد حسين وضد كل من يقف معه ولو بشطر كلمة، وكانت تلك الحملة الإعلامية حملة شرسة وغير مسبوقة . مرئية ومسموعة ومقروءة . واشتعلت خُطب الجمعة وخطابات ما بعد الصلاة في المساجد، متماهية مع وسائل الإعلام مروجة لتهمٍ كُلها تصف السيد حسين بأنه متمرد على الدولة، يُريد إعادة الإمامة!

ورأت السعودية أن الفرصة مناسبة بالنسبة لها من خلال تشجيع نظام صنعاء على المضي قدماً ضد تلك الحركة التي تدعو للعودة إلى القرآن ومحاربة أمريكا واسرائيل باعتبارهم العدو الحقيقي . وليس العراق كما كانت تروج أمريكا ومن خلفها السعودية . أوعزت السعودية لأدواتها من مشائخ الدين من تيار السلفية الوهابية وإخوان حزب الإصلاح أن يشوهوا الحركة الحوثية ويئدوا التعاطف الشعبي الذي حظيت به في مهده، لكن يأبى الله الا أن يُتم نوره، فكلما ضيقت الدولة على السيد حسين الحوثي وأتباعه، كلما زادت شعبيتهم وتزايد أنصارهم، لم تأتِ حملات التشويه الإعلامية تلك أكلها في صعدة؛ لأنها اعتمدت الكذب وتزوير الحقائق والناس الذين سمعوا السيد حسين يعرفون أنه ليس كما وصفته وسائل الإعلام، بل هو رجل يمتلك من الحُجة وقوة المنطق ما جعله يتكلم بمنطق القوة، و تهاوت بالتالي كل التهم الباطلة أمام وضوح الحق وقوة منطقه، واتضح للناس أن كل ما قاله السيد الحوثي وما أتي به لم يخرج عن إطار الرؤية القرآنية.

بدأ الشعار ينتشر ومرددوه يتزايدون وبدأت السفارة الأمريكية . التي كانت تروج عبر منظماتها لنشر الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان واحترام الرأي الآخر . تضغط على

الدولة كي تخرس تلك "الصرخة" التي وصلت إلى داخل البيت الأبيض قبل أن يتردد صداها في قلب العاصمة صنعاء، يجب اذاً أن يسقط ذلك "الشعار" ويجب أن تصمت تلك الصرخة بأي وسيلة.

وبعد أن أخذ النظام في صنعاء الضوء الأخضر من السفارة الأمريكية وتعهدت السعودية بتمويل الحرب، بدأت الحرب الأولى على صعدة، بتاريخ ١٧ يونيو ٢٠٠٤م وبدون سابق إنذار وبكل أنواع الأسلحة . الطائرات الحربية والمروحية والمدافع والدبابات . لاقتحام جبل مرّان، للقبض على السيد حسين وأتباعه بتهمة التمرد وعصيان أوامر الدولة . التي لا تستطيع عصيان أوامر السفارة الأمريكية . خصوصاً أن تلك الحرب تزامنت مع انعقاد قمة الدول الصناعية الثمان في ولاية جورجيا الأمريكية في الفترة من ٨ -١٠- يونيو من نفس العام وبحضور مفاجئ ولافت للرئيس اليمني السابق علي عبد الله صالح والذي لم يتوقعه أحد، وقد عاد الرئيس "الغير صالح" بقرار الحرب الظالمة في ١٥ يونيو ٢٠٠٤م بعد لقائه بقيادة الـ (سي، أي، إيه) والـ (إف، بي، أي)[1].

وأوعزت السلطة لبعض وجهاء ومشائخ القبائل من داخل صعدة ومن خارجها الدخول في الحرب . تحت غطاء إقليمي ودولي . والسبب أنها أرادت أن تأخذ تلك الحرب شكل الصراع القبلي والسياسي والمذهبي في آن واحد كي تبعد التهمة عن المشغل والممول.

ولم تترك تلك الحملة العسكرية غير المسبوقة على صعدة . سوى في حرب صيف ١٩٩٤م بدعوى الدفاع عن الوحدة في المحافظات الجنوبية التي أعلنت الانفصال . للحوثيين من خيار سوى الدفاع عن النفس تنفيذاً لقوله تعالى :(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) البقرة: ١٩٠

أو القبول بالتعذيب في غياهب سجون الأمن السياسي، فقبل تلك الحرب لم يرفعوا السلاح على أحد ولم يرفضوا سلطة الدولة ولم ينقلبوا عليها .كما أوضح السيد حسين في

١ - يحيى جحاف: صعده القضية والاعلام . مركز عدن للبحوث، صنعاء .ط١/ ٢٠١٦م . ص٩٤ .

أكثر من رسالة لرئيس الجمهورية. رفعوا شعاراً فقط، يندرج ضمن إطار حرية الرأي والتعبير الذي يكفله لهم الدستور اليمني، عرفوا أن الشعار هو السلاح الذي تخافه أمريكا وتريد أن تجردهم منه والدليل ما نقلته وثائق ويكليكس عن الرئيس السابق على عبد الله صالح وقوله للقيادة الأمريكية: "إن الحرب التي نخوضها هي حرب تخاض نيابة عن الولايات المتحدة.. الحوثيون هم أعداؤكم أيضاً"[1].

وبرز دور السعودية في تلك الحرب من خلال أدواتها وعلى رأسهم على محسن الأحمر . قائد الحملة العسكرية والمحرض الأول عليها. وقد برر تلك الحرب بالقول: "نقاتل الحوثي اليوم، بدلاً أن نقاتل أمريكا غداً". وقد اعتبر الساسة والمراقبون أن الدولة هربت بالحرب على صعدة بدلاً من مواجهة استحقاقات دولية أخرى ضد الإرهاب ومحاربة القاعدة والأنظمة الداعمة لها، وكانت تلك الفرصة التي استغلها علي محسن جيداً، خصوصاً أنه كان على علاقة وثيقة بالقاعدة كما يعرف الجميع. وبعد ثمانين يوماً من الحرب العبثية . التي لم يشهد لها اليمن مثيلاً حينها . وبعد أن ضيقت القوات الحكومية الخناق على السيد حسين ومن معه من الأطفال والنساء في "جرف سلمان"، بعد حصار خانق منعت عنهم كل وسائل الحياة، تفتقت فكرة خبيثة في عقول القوات المحاصرة للجرف، فكرة لم يحسب لها الشيطان حساباً، فقد جرى ضخ البنزين وإشعال النار داخل الجرف كي يختنق المحاصرون بالدخان وتم إعطاء السيد حسين وعداً بالأمان، فخرج محمولاً على الأكتاف لا تقوى قدماه على حمل جسده المثخن بالجراح، خرج إشفاقاً منه على النساء والأطفال الذين سلب الجوع والعطش ملامحهم، ظنّ أنه يتعامل مع مؤمنين من أمثاله يعطون وعداً وينفذون وعودهم، ظنّ أنه لا يزال هناك من الرجال أمثاله من يجعلون من الانتصار للقيم والأخلاق والرجولة والشرف أولى من الانتصار في ميدان الحرب ودهاليز السياسة، خرج مشلول الجسد لكن إرادته الفولاذية وإيمانه بمبادئه لم يتزعزع قيد أنملة، باشر من أعطوه وعداً بالأمان بإطلاق النار على جسده الطاهر من كل جانب، فسقط شهيداً . في ١٠

١ – نقلاً عن صبري الدرواني : حرب صعدة الاولى . ط١/٢٠١٣م . دون ذكر مكان النشر . ص٧٧.

سبتمبر ٢٠٠٤م . مع عدد من المجاهدين الذين رأوا أن الحياة بدون قائدهم هي الموت المحقق وظنوا أن الشهادة معه هي الحياة الأبدية، وهكذا ترجّل الفارس وسقط الحسين شهيداً مردداً جملته الأخيرة: "اللهم ثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة".

أخذت الدولة جثمانه وأخفته عن الوجود ظناً منها أن جسده هو من منح الناس الحياة الواعية لأتباعه وأنصاره، لكن أفكاره كانت قد سكنت عقول الكثير من أتباعه الذين عادوا إلى مناطقهم بأفكار القائد الذي أخلص لها ودفع حياته ثمناً رخيصاً في سبيلها.

لم يشبع النظام في صنعاء من الدماء ولم تمتلئِ جيوب تجار الحروب من المال وخصوصاً علي محسن وأبناء الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر وتتالت الحروب، فبدأت الحرب الثانية في ٢٧مارس ٢٠٠٥م وانتهت في شهر مايو من نفس العام وتوسعت في بعض المناطق وقد زادت حدةً وشراسة، وتلتها الحرب الثالثة في ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٥م وانتهت في يناير عام ٢٠٠٦م، وقد اتضح جيداً للمراقبين أن تلك الحروب كان الغرض منها التغطية على أنشطة القاعدة في اليمن خصوصاً بعد أن تردد اسم علي محسن الأحمر باعتباره الداعم والمحرك الرئيسي للتنظيم في اليمن، فقد تمت في تلك الفترة عملية فرار كبرى لعناصر تنظيم القاعدة من سجن الأمن السياسي في صنعاء في شهر فبراير عام ٢٠٠٦م من خلال عملية حفر نفق تحت الأرض فروا من خلاله وقد كانت العملية مدبراً لها بشكلٍ جيد من خلال عناصر أمنية على علاقة بالنظام في صنعاء وكان المتهم الرئيس فيها قائد الحروب على صعدة علي محسن الأحمر، فكان لا بد من شن الحرب والهروب من خلالها من تهم دعم الإرهاب بمحاربة المواطنين في صعدة، فبدأ علي محسن والعناصر الوهابية التكفيرية التي شاركت في الحروب الست بشن الحرب الرابعة في يناير ٢٠٠٧م واستمرت حتى يونيو من نفس العام .

حاول علي محسن التغطية على نشاط القاعدة من خلال شن الحروب على صعدة، إلا أن تنظيم القاعدة بدأ بمهاجمة منشآت عسكرية يمنية وأفراداً من الجيش وحقولاً للنفط

في مأرب، ومنها الهجوم الإرهابي الذي حدث يوم ٢يوليو ٢٠٠٧م بواسطة سيارة مفخخة يقودها انتحاري استهدفت سياحاً من أسبانيا أثناء زيارتهم لمعبد ملكة سبأ في محافظة مأرب، أسفرت تلك العملية عن مقتل ٨ سياح وسائقين يمنيين وإصابة ١٢ آخرين بجروح مختلفة[١] .

وزادت القاعدة من نشاطها في اليمن، خصوصاً بعد أن استهدف انتحاريان مبنى السفارة الأمريكية في صنعاء في بداية عام ٢٠٠٨م، كانت أصابع الاتهام موجهة ضد أدوات السعودية من حملة الفكر الوهابي التكفيري، فكان لا بد من أن يفتح علي محسن حرباً خامسة في صعدة هروباً من التهم الذي تلاحقه بدعم القاعدة كي يثبت لأمريكا أنه يحارب من يرفع شعار الموت لها، فبدأت الحرب الخامسة في مارس ٢٠٠٨م وتوسعت خارج محافظة صعدة لتشمل مناطق حرف سفيان في محافظة عمران وبني حُشيش في محافظة صنعاء، واستمرت حتى يوليو من نفس العام وتأتي الحرب السادسة في ١١أغسطس ٢٠٠٩م والتي كانت أشد ضراوة . فقد تم تسميتها بعملية الأرض المحروقة . من سابقاتها، خصوصاً بعد أن زادت قوة "الحوثيين" وانتشر أنصارهم في العديد من المحافظات، هذه الحرب شاركت فيها السعودية بشكل مباشر بدلاً عن وكلائها من مشايخ القبائل والتيارات السلفية وقادة بعض المعسكرات، خصوصاً من حزب الاصلاح، الذين استخدمتهم طيلة الحروب الخمس السابقة . وانتهكت السيادة اليمنية واستخدمت ضد أبناء صعدة كل أنواع الأسلحة، الجوية والبرية والصاروخية ولم تكتفِ بذلك، بل استعانت بقوات خاصة من الأردن والمغرب والبحرين وباكستان، قُصفت مدينة صعدة ومديرياتها بـ (٥٠٠٠) غارة استخدمت فيها أكثر من ٧١ ألف صاروخ، فقتلت الكثير من المدنيين وشردت الآلاف وهدمت مئات المنازل، والمزارع و تم إخلاء ٤٥٠ قرية وشرّدت ما يقل عن ٣٥٠ ألف نازح[٢].

١ – ينظر : بلال محمد الحكيم : اليمن من ربيع الثورة إلى خريف العدوان . صنعاء . ط١/ ٢٠١٧م . ص٢١٧.

٢ – ينظر : يحيي جحاف : صعدة القضية والاعلام . ص١٠٤. سابق .

وخلال تلك الحرب، كان تنظيم القاعدة في السعودية قد خرج عن سيطرة وزير داخليتها محمد بن نايف، خصوصاً بعد محاولتها اغتياله في شهر سبتمبر ٢٠٠٩م، فكان لا بد من التخلص من تلك العناصر وإخراجهم إلى اليمن وقد تولى كِبر ذلك اللواء علي محسن الأحمر، الذي أمّن نقل عناصر القاعدة وروجت السعودية بعد ذلك لنفسها باعتبارها ضحية للإرهاب الذي مصدره اليمن خصوصاً بعد أن بث (ناصر الوحيشي) قائد تنظيم القاعدة في جزيرة العرب شريطاً مصوراً هدد فيه بشن هجمات شديدة على السعودية، وقد كان نقل عناصر تنظيم القاعدة من السعودية إلى اليمن هو الدور الأكثر قذارة الذي لعبه علي محسن الأحمر، والذي دمرّ به اقتصاد اليمن وسمعتها ومستقبل أجيالها، وقد فُهم فيما بعد أن افتعال الحرب السادسة ودخول السعودية فيها كان تغطية لتلك العملية.

و كانت القاعدة لا تزال تمارس هوايتها في إزهاق الأرواح البريئة في اليمن لأنها تجد من يدافع عنها ويبرر أفعالها، فقد قام المدعو طارق الفضلي . أحد أعضاء القاعدة العائدين من أفغانستان . بضرب سيارة نجدة بالبازوكا وقتل أفرادها في محافظة أبين عام ٢٠٠٩م، فحركت وزارة الداخلية قوات أمنية وحاصرت الفضلي ومجموعته داخل منزله وأمهلتهم ساعتين لتسليم أنفسهم، لكنها فوجئت بتدخل اللواء علي محسن الأحمر وتعهده لنائب الرئيس السابق حينها . عبد ربه منصور هادي . بتسليم المطلوبين سلمياً، وهو ما لم يفعله، بل شجع الفضلي لاحقاً على التمادي في جرائمه الارهابية.

لقد فهم المراقبون للمشهد اليمني أن الحروب الست التي شُنت على صعدة كانت حروباً مدفوعة الأجر من الخارج . خصوصاً السعودية والولايات المتحدة الأمريكية . للقضاء على الحوثيين، وكان الغرض منها التغطية على نشاط تنظيم القاعدة من خلال فتح المعسكرات لهم للتدريب وتزويدهم بمختلف أنواع الأسلحة والاستعانة بهم في تلك الحروب الست، بالنسبة للسعودية كانت الحروب للتغطية على خروج قيادات التنظيم من السعودية إلى اليمن، بالنسبة لأمريكا كان تواجد القاعدة في اليمن هو الذريعة التي

تستخدمها لتعزيز تواجدها وبناء قواعد لها والسيطرة على باب المندب

لم تقضِ الحربُ على الحوثيين . كما خططوا لها منذ الحرب الأولى . لكنهم توسعوا إلى داخل الأراضي السعودية كرد فعلٍ على التدخل السعودي، فكان أن أوقفت السلطة حربها السادسة في ١١ فبراير ٢٠١٠م.

وبعد تلك الحروب الست التي شُنت على الحوثيين في صعدة . التي أهلكت الحرث والنسل . ألا يحق لنا أن نسأل لماذا؟ ومن هو ذلك الشخص الذي شغل الإعلام الرسمي والحزبي الذي بسببه شُنت تلك الحروب وماذا فعل بالضبط؟

لم يكن السيد حسين الحوثي (الشخص) هو المقصود إذاً، بل أفكاره كانت هي الهدف، خطبه التي تحولت إلى ملازم، الشعار الذي أصبح رمزاً للحركة فيما بعد وهو الذي سبب الحروب الست كما قال السيد حسين سابقاً وكما أكد زعيم أنصار الله السيد عبدالملك الحوثي فيما بعد.

فقد أكد السيد حسين في رده على سؤال . لشبكة بي بي سي البريطانية . لماذا لا تسلم نفسك وترحم هذه المنطقة من القتال؟ قال: "القضية ليست قضية شخص ... لأنهم هاجموا محافظة، منطقة خولان وبالذات مران وولد عياش وولد نوار منطقة همدان منطقة سحار منطقة ضحيان في جماعة، لأن المقصود هو إسكات هذا الصوت المناهض لأمريكا وإسرائيل وكل من يهتف بالشعار ضد أمريكا وإسرائيل وليس المقصود شخص معين"[1].

لقد كانت التهمة الحقيقية التي ارتكبها السيد حسين هي رفعه للشعار . وأكدتها وسائل الإعلام الرسمية . وتحريض أتباعه على ترديد الصرخة في المساجد وكان شرط رئاسة الدولة الأول خلال الحروب الست لإيقافها هي التوقف عن رفع الشعار وترديد الصرخة وهو نفس الشرط الذي طلبته الدولة للإفراج عن المعتقلين . بتهمة ترديد الصرخة . التوقف عن ترديد الصرخة كي تكف الدولة عن ملاحقتهم.

١ – نقلاً عن صبري الدرواني . حرب صعدة الاولى . ص٨٥. سابق .

وهذا ما كشفه أخيراً محمد عبد السلام . الناطق باسم أنصار الله . في مقابلته مع قناة المسيرة مساء السبت الموافق ٢٢أبريل ٢٠١٧م، إنه خلال الحرب الرابعة عام ٢٠٠٧م عرض الاتحاد الأوربي على الحوثيين المشاركة في الحكومة بنسبة ٣٠% مقابل التخلي عن الصرخة وترديد الشعارات الثورية بحسب قوله.

وهنا يبدو السؤال مشروعاً:

ما الذي ميّز السيد حسين الحوثي عن غيره؟

المتابع لحياة السيد حسين بدر الدين الحوثي . ومواقفه في الحياة ومنها أيضاً . يعرف أنه كان إنساناً . بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ ودلالات . أدرك ماذا يعني أن تكون إنساناً فرداً متفرداً ومتميزاً . كما أراد منك خالقك . عرف أن الإنسانية تكليف قبل أن تكون تشريفاً وأمانة تبرأت منها السماوات والأرض والجبال وحملها الإنسان ويجب أن يكون عند حُسن ظن خالقه به.

وعرف ماذا يعني أن تكون مسلماً، ومسلّماً ومستسلماً لله سبحانه وتعالى فقط، وماذا يعني أن تكون مؤمناً بالله وتكفر بكل طاغوتٍ في الدنيا وتلك هي العروة الوثقى التي لا يمكن أن تخذل صاحبها أبداً.

كان في حياته بسيطاً متواضعاً . شكلاً ومضموناً . لم يحاول أن يتميّز عن الآخرين، فلم يرتدِ ملابس العلماء المعروفة . لأنه يعرف أنها قد تضع حاجزاً بينه وبين عامة الناس . بل كان يلبس الزي اليمني الذي يلبسه طلابه ومُريدوه، ولم يقل عن نفسه أنه من طبقة العلماء، بل كان يكرر في مُعظم خطاباته أنه طالب علم، وأن دوره ينحصر في التذكير، فلم يأت بجديد، كما كان يقول لطلابه : "واسمحوا أيضاً إذا لم يكن الكلام معكم بالشكل المطلوب؛ لأننا في الواقع لم نأت بجديد، ونتحدث معكم كأناس واعين ويفهمون يكفي معهم التذكير"[1].

وإنما كان يعرض عليهم وجهة نظره التي تقبل الصواب والخطأ "واعتبروا أن ما يأتي من

١ – حسين الحوثي : ملزمة خطورة المرحلة . صعدة، اليمن . ٢٠٠٢م . ص١٠ .

جانبنا مجرد وجهة نظر حتى تتأكدوا أو تكتشفوا خطأً لدينا"[1].

بل كان يُصرح بأنه يقدم لهم فهمه للمواضيع التي يطرحها "هذا ما أفهمه بالنسبة لقضية التسبيح " [2].

ويحق لنا أن نتساءل بعد ذلك: إذا كان السيد حسين الحوثي لم يأتِ بجديد من خلال دعوته بالعودة إلى القرآن، فما الذي مّيزه عن غيره من الدعاة والمصلحين والثوار؟

فالكثير من المصلحين والدعاةِ قد نادوا بضرورة العودة إلى الأصول . أو الإسلام الأصيل . إلى القرآن، لكن نظرياتهم ودعواتهم . تلك لم تغادر تراقيهم . وظلت حبراً على ورق الفكر ولم تتحول إلى حركة في أرض الواقع ولم تروَ بدماء التضحية، فالنظريات والأفكار ليست غايةً بحد ذاتها، بل هي وسيلة للوصول إلى هدفٍ معين. ونجاح النظرية أو الفكرةِ لا يُقاس فقط بمدى صوابها ووضوحها واستيعابها للواقع وإنما يُقاس بمدى قابليتها للتنفيذ والتطبيق على أرض الواقع وبوجود شخص . أو جماعة . يؤمن بها إيماناً يجعله يسعى لتطبيقها فيعطيها كُله ويهب حياته لها وبها ومن أجلها أيضاً، وعظمة النظرية بحسب ما يرى السيد حسين هي انعكاس لما تفعله في أرض الواقع، فإذا كان هناك "أي نظرية – كما يقولون – لا يمكن أن تعرف عظمتها إلا عندما ترى ما تصنعه، ما تقدمه من أثرٍ، ترى نماذج ممن يحملون أفكار تلك النظرية، ثقافة تلك النظرية، توجُّهات تلك النظرية، فتراهم كيف هم، هنا تحكم على تلك النظرية عندما كانوا يجسدونها بنسبة مائة في المائة"[3].

والتاريخ يخبرنا بأن هناك نماذج متعددة من العظماء . يمكن أن ينطبق عليهم وصف ما نقول . من الذين وهبوا حياتهم ثمناً للأفكار والمبادئ والقيم التي آمنوا بها واستطاعوا أن يصنعوا الفارق من خلالها و يأتي على رأس قائمة العظماء سيد البشرية ومخرجها من

١ – حسين الحوثي : ملزمة الوحدة الإيمانية . صعدة، اليمن . ص٣.

٢ – حسين الحوثي : معنى التسبيح . صعدة، اليمن . ٢٠٠٢م . ١٠.

٣ – حسين الحوثي : ذكرى استشهاد الإمام علي . صعدة، اليمن. ١٤٢٣هـ . ص٨

الظلمات إلى النور .كما تحدث عنه مايكل هارت في كتابه العظماء مائة . الرحمة المهداة للعالمين محمد . عليه وعلى آله الصلاة والسلام . الذي عرض عليه عمه أبو طالب ما طلبته منه قريش بترك دعوته إلى الإسلام، فقال له : "والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري، ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه".

وبعده جاء حفيده الحسين بن علي وسار على نفس النهج وانتصر لمبدأ الوقوف ضد الباطل والخروج على من يسانده، فخرج على ظلم يزيد بن معاوية أملاً في تصحيح مسار الإسلام، مستشعراً في قرارة نفسه مقولة جده (ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه) فسقط شهيداً في سبيل الفكرة التي آمن بها وعمل من أجلها، فعاش بعد موته مبدأ يقاوم الظلم والطغيان على مر العصور وكانت هزيمة الحسين انتصاراً للدم المسفوح على السيف وانتصاراً على طاغوت المال والسلطة وهي أيضاً أعظم انتصارٍ للأفكار والمبادئ والقيم.

وهذا أيضاً هو الذي ميّز السيد حسين الحوثي عن غيره من دعاة الإصلاح والقائلين بالعودة إلى القرآن، لقد كان الرجل المناسب الذي ظهر في الوقت المناسب واستطاع أن يُمسك باللحظة التاريخية المناسبة، آمن بفكرة ضرورة العودة للقرآن وجعله حياً في النفوسِ ومعاشاً في الواقع، آمن بتلك الفكرة إيماناً مطلقاً وعمل لها وعاش بها وأستشهد من أجلها . فالإيمان هو العمل والحركة كما قال في معظم خطاباته تنفيذاً لقوله تعالى :(الذين آمنوا وعملوا ...) . لقد عمل على إحياء الإيمان الحركي . وليس الإسلام الطقوسي . الذي يجعل من الإيمان جهاداً ضد النفس . عدو الداخل . وضد العدو الخارجي، وجعل من الجهاد جوهراً يجب الوصول إليه والاهتمام به.

وهذا ما عُرف عنه بين أتباعه وخُلّص مُريديه، لقد قال لهم من خلال سلوكه وأفعاله قبل محاضراته: "إن بإمكان كل شخص منهم أن يكون مصلحاً لغيره متى ما كان صالحاً في نفسه"، جاعلاً من الفكرة مبدأً ومن المبدأِ سلوكاً ومن السلوك أسلوباً في الحياة.

لقد ارتفع السيد حسين في عيون الناس عندما تواضع لله وتميّز في نظرهم عندما

أصبح مثلهم

وكان إيمانه يمدُ أتباعه بقوة الإيمان، وصدق مواقفه يمد مواقفهم بالصدق وظهرت شجاعته وقوة شخصيته عندما بلَع الآخرون ألسنتهم . حكاماً ومحكومين . فكان الوحيد الذي قال "لا" في وجه من قالوا "نعم"، وهذا ما أقام الدنيا عليه . وعلى أتباعه من بعده . لأنه جعل من الإيمان عملاً صالحاً في الدنيا قبل الآخرة، وجعل معيار العمل الصالح هو توافقه مع شروط الإيمان المعروفة في القرآن وعدم ابتعاده عنها، وهذا ما ألب عليه كل المؤمنين بالإسلام الطقوسي الذي يجعل من التدّين اعتياداً ومن الدين عادة يومية وليس عبادة خاصة لوجه الله .

شخصية استثنائية:

ومن يتعرف على السيد حسين الحوثي عن قرب ويسمع خطاباته . أو يقرأها بعد تفريغها وكتابتها في ملازم . ويقرأ ما كُتب عنه، سواء من أعدائه أو مناوئيه، يدرك أن من يتخلى عن السلطة والمنصب والجاه ويتفرغ لإنجاز مشروع فكري يهتم بإعادة بناء الأمة هو شخصية استثنائية، ومن لا يساوم على المبادئ التي آمن بها ومن يسترخص حياته ثمناً لما يؤمن به فهو الرجل "الكثير" والشخصية الاستثنائية الفذة، لقد كان السيد حسين من "الشخصيات الاستثنائية التي صنعت تحولاً تاريخياً في الحياة المعاصرة برغم كل ما صاحب توجهه الفكري الثقافي القرآني من ظلم وتكفير وتعتيم وافتراء وتضليل، بسبب مواقفه الواضحة والصادقة والصريحة المتمثلة في صدقه مع نفسه قبل صدقه مع الآخرين"[1].

لقد الجميع من صفات الرجال في رجل واحد، فكان . على سبيل المثال لا الحصر . في مجتمعه رائداً للتنمية البشرية . إذا جاز لنا إطلاق هذا اللفظ . من خلال إعادة الثقة لأفراد المجتمع بأنفسهم وقائداً للتنمية المجتمعية من خلال متابعته لمعظم المشاريع الخدمية مشجعاً الناس على الالتحاق بالتعليم، حاثاً لهم ومشجعاً على الاهتمام بالزراعة وعلى التعاون على البر والتقوى.

١ – يحيى جحاف : صعدة القضية والإعلام . ص ٦٥. سابق .

لقد أحدث تغيراً ملحوظاً في مجتمعه على مستوى الشكل والمضمون، ابتداء بالأفكار وانتهاء بتطبيقها في الواقع والسبب في ذلك شخصيته الاستثنائية الفذة المصبوغة "بصبغة إلهية من الهيبة والجلال والكبرياء والبهاء الإلهي مقترنة بالحلم والتواضع وعلوّ مكارم الأخلاق بشكلٍ منقطع النظير، فكان الكل يتقاطرون إلى مجلسه ويتوافدون من كل مكان بكلِ لهفة وشوق لرؤيته وسماع دروسه وحاضراته" [1].

ويمكن أن نقول بوضوح لا لبس فيه واختصار لا إسهاب معه: بأنه كان صالحاً في نفسه مصلحاً لمجتمعه على غرار المصلحين الكبار في كل زمان ومكان، تماشياً مع السنن الإلهية التي أكد عليها القرآن أن الأرض يعمرها المصلحون في كل زمان ومكان كما قال تعالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) الأنبياء: ١٠٥.

ذلك يعني أن تلك الوراثة شِرعة دينية وسنة اجتماعية وحقيقة تاريخية وسمة حضارية على أساس أن عملية الإصلاح للمجتمع والارتقاء بالأمة وبناء حضارة الرحمة الإنسانية ترتكز على تأهيل وإعداد وإنتاج الفرد الصالح في ذاته الذي يُثير الاقتداء ويُغري بالاتباع من خلال سلوكه وعلاقاته مع الغير والعمل على تشكيل الأمة القائمة على الحق في ذاتها وفي علاقاتها الحاملة لقيم الحق إلى غيرها لأن وجودها يدلل على خلود منهج النبوة وقدرته على الإنتاج في كل زمان ومكان[2].

إن وجود المصلحين في فترات مختلفة من الزمن هي سُنّة إلهية وضرورة اجتماعية تحتاجها المجتمعات فطرياً، لكن ذلك لا يعني أنهم يبدأون من العدم، بل أن عملية الإصلاح تراكمية وهذا هو الشيء الذي يمتاز به المصلحون " الأفذاذ الذين يأتون في

١ – فاضل محسن الشرفي : قراءة في المشروع القرآني للشهيد القائد : القيادة والمنهج . مركز الدراسات الاستراتيجية والاستشارية اليمني، صنعاء .ط١/ ٢٠١٨م . ص١٤.

٢ – ينظر : مقدمة عمر عبيد حسنة لكتاب رؤى الإصلاح عند الامام محمد الخضر .كتاب الأمة، قطر . عدد ١٥٩،ط١/ ٢٠١٣م . ص٥ . ٦.

أوقات من التاريخ متباعدة أو متقاربة يبدو لي أن تعبير (إنهم يبدأون من العدم) ونفي وجود قابليات تشكل استجابة لدعوتهم محل نظر، لعل الأولى أن نقول : إنهم استطاعوا أن يكتشفوا مواطن الخلل فيصلحوه ويكتشفوا القابليات فيوظفوها ويثيرونها ويشحذوا فاعليتها " [1].

وقد وصف القرآن الكريم العلماء المعلمين بأنهم ربانيون كما قال تعالى :(مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ) آل عمران :٧٩

والسيد حسين كان من العلماء الربانيين وهم " أولئك الذين خلُصت حياتهم لله في سبيل اصلاح وتربية خليقته، إنهم ربانيون منسوبون إلى الرب وهي الصفة الإلهية المشتقة من التربية، همهم تربية هذا المجتمع على هدى الله وتنشئته التنشئة الفاضلة بحسب ما يُريده عز وجل " [2].

كان قوي الشخصية قرآني الصفات والافعال لا تأخذه في الله لومة لائم وكانت لديه القدرة على " اتخاذ القرارات الحكيمة في أحلك الظروف وأصعب المواقف في الحرب والسّلم دون أن تلحظ أيّ تغيّر أو تأثرٍ على التوجيهات والقرارات، فكلها مصبوغة بالحكمة والبصيرة النافذة، كما عُرف السيد بالشجاعةِ والإقدام فكان رجلاً شجاعاً ومقداماً لا تأخذه في الله لومة لائم ولا تهزه التهديدات ولا تضعفه الضغوطات، فكانت كلمته ومواقفه وصرخته قوية بقوة الحق والمنهج الذي يحمله"[3].

قد لا توافقه على كل ما ذهب إليه في مشروعه الفكري وقد تختلف مع بعض ما ورد فيه، لكنك لا تملك سوى الاعتراف بأنه كان إنساناً صادقاً بكل ما تعنيه الكلمة، فلا يمكن أن تجد تناقضاً بين أقواله وأفعاله على الإطلاق، كان مؤمناً بما يقول وقائلاً وفاعلاً لما

١ – محمد الغزالي : كيف نتعامل مع القرآن . مكتبة نهضة مصر، القاهرة . ط٧/ ٢٠٠٥م. ص٦٢

٢ – حمود الأهنومي : التربية في فكر الشهيد القائد . المجلس الزيدي الإسلامي، صنعاء.ط٢٠١٧/١م.ص١٢.

٣ – فاضل محسن الشرفي : قراءة في المشروع القرآني للشهيد القائد : القيادة والمنهج . ص١٥. سابق.

آمن به بقوة تفوق الوصف حتى في أشد المواقف صعوبة وحرجاً والمتتبع لنشأة السيد حسين وتطوره الفكري يلاحظ أنه تفرّغ نهائياً وأعطى كله للقرآن، فأعطاه القرآن بعضاً من أسراره هداية وفهماً وتدبراً وتأملاً.

والأهم من كل ذلك تطبيقاً للقرآن في واقع الحياة، حتى إنه كان يستدل على كل حركة أو عمل او نشاط بآية من القرآن " لقد قدم . رضوان الله عليه . منهجاً عملياً للحياة كان القدوة فيه والمثل الأعلى جّسده في حياته قولاً وعملاً وسلوكاً، قدمه بكماله وجماله وجاذبيته حتى عرفنا من خلاله عظمة الحق وقوته عرفنا من خلاله شمولية القرآن وحكمته"[1].

وكانت تلك هي نقطة التحول التي أحدثت النقلة النوعية في حياته وفي مجتمعه وهي التفرغ كلياً لدارسة القرآن فهماً وتدبراً وحفظاً وتطبيقاً.

نقطة التحول في حياة السيد حسين الحوثي:

لقد كانت نقطة التحول الرئيسية في حياة الشهيد القائد والتي شكلَت قطيعة ابيستمولوجية (معرفية) وشطرت حياته إلى ما قبلها وما بعدها، هي السفر إلى السودان، فبعد الانتخابات النيابية التي أجريت عام ١٩٩٧م، ذهب اليها بغرض إتمام دراسته العليا، تلك الرحلة كانت مهمة بالنسبة له، لأنها شكلّت منعطفاً نوعياً ، تغيّر معها مسار حياته الفكرية والسياسية وأتاحت له التخصص في مجال الدراسات الإسلامية، إذ كان موضوع أطروحته للماجستير: دراسة وتحقيق كتاب البرهان لأبي الفتح الديلمي في تفسير القرآن – إضافة إلى ذلك فقد أتاحت له تلك الرحلة لحظات تأمل مركزة في القرآن الكريم " ونظرا لشخصية الرجل الحركية المهجوسة –كما يصفه مجايلوه – بهَم الإصلاح والتغيير فقد استغلها لإعادة تقييم ومراجعة تجاربه السابقة والنتيجة التي وصل إليها في رحلته تلك هي أن القران أكبر وأغني وأشمل من أن يكون موضوعا لرسالة أكاديمية وإنما هو رسالة للحياة،

١ – يحيي قاسم أبو عواضه : صفحات مشرقة من حياة الشهيد القائد . مؤسسة الشهيد زيد على مصلح، صعدة . ط١/ ٢٠١٣م. ص٥٨.

بعد ذلك قرر السيد حسين العودة إلى اليمن والاستقرار بمنطقة مران حيث مقر اقامته ومن ثم الإعلان عن مشروعه الجديد"[١].

بعد تلك الرحلة جاءت المرحلة التي اكتشف فيها السيد حسين هويته الحقيقية . من هو في الحياة وما الهدف الذي يسعى لتحقيقه . وأعاد من خلالها بناء ذاته، ليكتشف أخيراً أنه أصبح شخصاً جديدا وأنه يعيش مرحلة جديدة في حياته، مرحلة مليئة بالمسئولية عن حياة أمة بأكملها وقد عبر عن ذلك بقوله: "لنقل لأنفسنا وللناس جميعاً من حولنا: يجب أن نستشعر أن علينا أن نستأنف حياة جديدة، وأن نقول لزمن اللامبالاة، زمن اللاإهتمام، زمن اللاشعور بالمسؤولية: يجب أن يذهب إلى غير رجعة" [٢].

لقد عرف أن القرآن هو الدواء الشافي لجميع مشاكل المجتمع المادية والمعنوية، مستدلاً بقول الإمام الخميني: "إن القرآن يشتمل على المعارف كافة وجميع ما يحتاج إليه البشر"[٣].

والأهم من كل ما سبق: أنه تعرّف إلى ذاته خلال انقطاعه لدراسة القرآن وأعاد تقييم حياته وبناء ذاته من جديد من خلاله أيضاً، أدرك أن حياته قبل تلك المرحلة كانت عبثاً، لأنها باختصار كانت خالية من الأهداف، ومن الشعور بالمسؤولية، فأدرك أن تلك الحياة الخالية من الأهداف يجب أن تنتهي وأن تبدأ حياة جديدة، مليئة بالاهتمام والشعور بالمسئولية عن حياة أمة بأكملها وليس مسؤولاً عن حياته وحياة أسرته فقط وهذا ما كان.

بعد ذلك تحرك الشهيد القائد في اتجاه بناء الأمة من خلال عدة أمور أهمها "إحياء القرآن في واقع الحياة وإعطائه أولوية وتقديمه كتاباً شاملاً في كل مجالات الحياة، تقديمه تبياناً لكل شي وتفصيلاً لكل شيء، نوراً وبياناً وهدى وبصائر وشفاء وموعظة وصراط مستقيم كما تحدث الله عنه ولأنه الذي سيزهق الباطل وسوف ينقذ الأمة الإسلامية مما

١ – عبدالملك العجري : جماعة أنصار الله الخطاب والحركة . ص٣٩ . سابق .

٢ – حسين الحوثي : ملزمة أشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً . ص١

٣ – جواد علي كسار: فهم القرآن ج١ . مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت .ط١/ ٢٠٠٨م. ص٦٥

هي فيه"[1].

تحيئة القرآن وقرأنة الحياة:

قد عمل الشهيد القائد من خلال مشروعه الفكري على أن يجعل القرآن حياً معنا ومعاصراً لنا ومعياراً نقيس من خلاله جميع تصرفاتنا في الحياة، جعل من القرآن حياة تعاش ومن الحياة قرأناً يُتلى ويعاش ويطبق، باختصار لقد جعل من العودة للقرآن تدبراً وفهماً وتطبيقاً مسؤولية يتحملها الفرد والأمة على السواء، كي تشعر بحجم الفارق بين حياة تعيش بالقرآن وقرآنٍ ينبض بالحياة

فكان يُردد على مسامع طلابه: "يجب علينا أن نستيقظ، يجب علينا أن نتنبه، يجب علينا أن نعود إلى القرآن الكريم فنتدبر آياته، نتأملها نتفهمها، نتدبرها بشكل جدي، وبروح عملية، وبشعور بمسئولية" [2].

وغدى القرآن لديه منهجاً للحياة وفيها ولأجلها أيضاً، ولأن الشهيد القائد قد خَبِر الحياة ومارس السياسة . من خلال عضويته في مجلس النواب من ١٩٩٣- ١٩٩٧م . فقد توصل أخيراً من خلال انقطاعه لدراسة القرآن بأنه المنهج الصحيح الذي يحقق للإنسان السعادة في الدنيا والآخرة، والسر الذي يميز المنهج القرآني عن كل المناهج الوضعية البشرية يكمن في أنه أتى من خالق الكون الذي يعلم كل شيء ما كان وما هو كائن وما سيكون إذا كان . أي أن العلم الإلهي شامل للماضي والحاضر والمستقبل، وبما أن الله خلق الإنسان، فهو يعلم ما يضره وما ينفعه، كما قال تعالى : [أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ] {الملك:١٤} .

والمهم لديه أن يتحول القرآن في حياة الفرد المسلم . والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم والأمة المسلمة . إلى نفسية قرآنية، تقرأ القرآن وتفعّله وتطبقه في سلوكها وفي تعاملاتها المختلفة، باختصار يجب أن يتحول القرآن إلى أسلوب حياة، نعيش به وله ومن أجله ومن

١ – يحيى قاسم أبو عواضه : صفحات مشرقة من حياة الشهيد القائد . ص٥٧ . سابق .

٢ – حسين الحوثي : ملزمة أشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً . ص٥.

يفعل ذلك يصبح عالِماً حقيقياً، فالعالِم الحقيقي ـ بحسب ما يراه الشهيد القائد ـ ليس الذي يملك أعلى الشهائد العلمية وإنما من يستفيد علمه من القرآن ويطبقه في واقعه وكما قال: "يجب أن يستفيد علمه من القرآن الكريم، وأن يكون علمه بالشكل الذي يجعل القرآن حياً في واقع الحياة، وحياً في نفسه، يجعل القرآن حياً في نفسه وفي واقع الحياة، أما أن يقرأ لينتهي في الأخير إلى أن يجمد كل هذه الآيات مكانها فهو ليس بحاجة إلى أن يقرأ حتى يجمدها" [١].

والقرآن بالنسبة للسيد حسين هو أشرف العلوم وأعظمها على الإطلاق، لأن خيره وفائدته تنفع من يتعلمه مادياً وروحياً، في الدنيا والآخرة ـ بخلاف العلم الوضعي الذي قد ينفع صاحبه مادياً وفي الدنيا فقط ـ والسبب في أنه كذلك كونه قد أتى من الله سبحانه وتعالى، فأعظم شيء يتعلمه "الإنسان هو العلم الذي يأتي من جهة الله، ومن عند الله، القرآن الكريم أشرف علم يتعلمه الناس؛ لأن الله أنزله ليكون هدى للإنسان في هذه الحياة، فيما يتعلق بهذه الحياة الدنيا، ليسعد فيها، وكذلك ليسعد في الآخرة"[٢].

وما يجعل القرآن كذلك هو أنه أحاط بعلم كل شيء وبيّن كل شيء وأحيط بضمانة إلهية عصمته من التحريف والتبديل، فليس "على وجه الأرض مصدر للمعرفة والفكر والثقافة والحضارة غير القرآن محفوظ ومحاط بكل هذه الضمانات الإلهية وعُصم من التغيير والتبديل وجعلت له السيادة التامة والحاكمية الكاملة" [٣].

وميزة القرآن هو أنه الوحيد الذي يخرج الفرد ـ والأمة على السواء ـ من ظلمات الجهل والأمية إلى نور العلم والمعرفة، حتى وإن انتشرت المدارس والجامعات وعندما نترك القرآن تعليماً وتعلّماً وتثقيفاً وثقافة نعود "من جديد إلى الأمية على الرغم من وجود القرآن الكريم فيما بيننا، على الرغم من أننا نقرأ ونكتب، ومدارس متعددة وصحف ومجلات ومكتبات

١ – حسين الحوثي : ملزمة محياي ومماتي .ص ٦

٢ – حسين الحوثي : ملزمة آيات من سورة الكهف ص ١

٣ – طه جابر العلواني : نحو منهجية قرآنية . دار الهادي بيروت .ط١/ ٢٠٠٤م. ص٢٨٣

في الشوارع، ومكتبات عامة في الجامعات، ومراكز علم كثيرة جداً، مدارس أساسية مدارس ثانوية وجامعات ومراكز علمية ومكتبات تملأ الشوارع، وكتب على الأرصفة أيضاً تُباع، ومجلات تصدر كل يوم أو كل أسبوع، لكن لا يمكن أن يُخرج العرب من الأمية إلا القرآن الكريم، فتصبح أمة ثقافتها أعلى من ثقافة الآخرين، مواقفها حكيمة، رؤيتها حكيمة"[١].

وكل علم يتعلمه الإنسان دون أن يتعلم القرآن فهو جهل مطبق . بالمقاس الإلهي القرآني . وبذلك نعود مع جهلنا بالقرآن إلى مرحلة الجاهلية الأولى حتى وإن كنا نحمل اعلى الشهادات، فعدم الالتزام بالقرآن جاهلية كما قال تعالى (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) وذلك أن "الجاهلية الأولى قد تعني مرحلة ما قبل ورود النص وتعبير لفظة الأولى يكون النص قد نصب نفسه حكماً على كل مراحل التاريخ من حيث اقترابها أو ابتعادها عن النص لأن الجاهلية الأولى قد تضاف إليها الثانية وذلك عند اختراق حدود النص وظلاله"[٢].

وبذلك يكون الشهيد القائد قد جعل من العودة للقرآن، غاية ووسيلة، غاية للعلم الحقيقي ووسيلة ننال من خلالها الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، وذلك أن غياب القرآن من حياة الفرد والأمة يجعله يعيش حياة الجاهلية الخالية من المبادئ والقيم والاخلاق والتي ترتبط أساساً بإنسانية الإنسان، حتى وإن بدا للمجتمع غير ذلك أي أنه "كلما غيّب النص عن التحديد ممارسة وواقعاً تترتب جاهليات متعددة تتشكل بحسب تموضعها التاريخي واللغوي والفكري والإنساني عموماً"[٣].

ويؤكد الشهيد القائد على أن المعرفة القرآنية هي تؤكد لنا بأن اليهود ـ هم العدو الحقيقي للإسلام والمسلمين في كل زمان ومكان كما قال عنهم القرآن ـ وعندما يئسوا

١ – حسين الحوثي : ملزمة الثقافة القرآنية . ص ٢ .٣

٢ – محمد بنيعيش : الفكر الإسلامي واشكالية التحديد المنهجي . مجلة الكلمة، بيروت. عدد٦٣ ربيع ٢٠٠٩م .ص٩١

٣ – المرجع السابق : ص٩٢ .

من استهداف القرآن، لأن الله قد تعهد بحفظه . حاولوا أن يستهدفوه في نفوس المسلمين وأن يجعلوا منه مجرد شكل . تلاوة وحفظاً وتجويداً . هذا لا يهم ولا يؤثر المهم بالنسبة لهم أن يضربوا النفسية التي تجعل من القرآن واقعاً معاشاً ومن الواقع صدىً عملياً لتعليمات القرآن، فالقرآن من وجهة نظره "يتعرض لخطورة بالغة على أيدي اليهود وليس القرآن في نفسه، القرآن في نفوسنا، القرآن في حياتنا، القرآن في واقعنا هو الذي سيضرب أما القرآن في نفسه لا يستطيع اليهود أن يحرفوه لا يستطيعوا أن يزيدوا فيه ولا ينقصون منه لا يستطيعون أبداً أن يمسوه بسوء"[١].

ويرى الشهيد القائد أن تعّلم القرآن وتعليمه وجعله حياً في النفوس ومعاشاً في الواقع، يُحقق الشرف والعزة والكرامة للفرد المسلم وللأمة المسلمة، وعندما ترك المسلمون تطبيقه في واقعهم، ضاعت كرامتهم وتلاشى شرفهم وبحسب قوله أن العرب هم من كان يُراد منهم أن يتحملوا مسؤوليتهم التي هي شرف عظيم لهم كما قال تعالى في القرآن الكريم: (وإنه لذكرٌ لك ولقومك) الزخرف:٤٤ . شرف عظيم لك ولقومك، سوف تسألون عن هذا الشرف الذي قلدناكم إياه ثمّ أضعتموه"[٢].

وهكذا يؤكد السيد حسين أن على العرب والمسلمين في الوقت الراهن إذا أرادوا أن ينالوا الشرف والمكانة التي تليق بهم بين الشعوب عليهم أن يرجعوا القرآن إلى داخل نفوسهم ليكون جزأً منها، وينعكس في حياتهم تطبيقاً لمبادئه وسيراً على هديه ودون ذلك لن ينالوا الشرف والرفعة على الإطلاق.

من خلال الصفحات السابقة نكون قد وصلنا إلى نتيجة فحواها : أن السيد حسين كان الرجل الكثير والشخصية الاستثنائية الفذة التي قسمت الواقع حوله إلى ما قبله وما بعده وكان القائد المناسب الذي ظهر في المكان والزمان المناسبين، ليقول لأمريكا بالصوت المسموع والصرخة المدوية لا في وجه من قالوا لها نعم، وليكون بأقواله وأفعاله

١ – حسين الحوثي : ملزمة محياي ومماتي . ص٧

٢ – حسين الحوثي : ملزمة لا عذر للجميع أمام الله .ص٤

الرجل الاستثناء في الزمن الذي لم يجرؤ فيه أحد أن يكون كذلك وهذا ما جعل منه الإنسان المسؤول والمفكر القائد والقائد المفكر والحكيم الذي جعل من القرآن حياة تعاش ومن العيش قرآناً يتلى فقرأن الحياة وأحيا القرآن في النفوس والعقول والواقع أيضاً وهذا هو الأهم والمهم بالنسبة لنا.

وفي الأخير نقول: إن كل جهدٍ إنساني معرض للنّقص، وكما قال العماد الأصفهاني: إني رأيت إنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده : لو غُيّر هذا لكان أحسن، ولو زِيد كذا لكان يستحسن، ولو قُدّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العِبر وهو دليل على استيلاء النقصِ على جملة البشر".